على الشرع حتى اذا سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ارتفعت اسباب التحذير وانسدت ابواب الاحتمالات واذا كان
على ما تقرر فقد ثبت في الصحيح ما فيه الحجة الماضية لشبهة المعترض ومنه عن زيد بن ارقم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد انك انت الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا
ورب كل شيء انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك الحديث بطوله وعن عبد الله بن الزبير انه عليه السلام كان يقول في دبر
كل صلاة حين يسلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله ولا اله
الا الله ولا نعبد الا الله الحديث وفي بعض طرقه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من الصلاة قال بصوته
الاعلى لا اله الا الله وحده لا شريك له وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
اوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة ان تقول اللهم اعني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك الى غير ذلك مما جاء
في هذا الباب ولفظة كل الواقعة في الاحاديث تؤذن على ما قاله اهل العلم بكثرة الفعل والمداومة عليه ووجه
اخر من الرد على من ظن ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم دبر الصلاة كان سرا لا جهرا او شك فيه وهو ما ورد عن ابي
هريرة انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر في الصلاة سكت هنيئة قبل ان يقرا فقلت يا رسول
الله بابي انت وامي ارايت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت
بين المشرق والمغرب الحديث والمراد بالسكتة هنا السكوت عن الجهر لا عن مطلق القول وقوله ما تقول يشعر بانه
فهم ان هناك قولا وفي مضمون هذا الحديث دلالة واضحة على ان ادعية النبي صلى الله عليه وسلم دبر الصلاة المكتوبة
كانت جهرا اذ لو كانت سرا لم تنقل على الاوجه المتقدمة ولكان قد سال عن مقتضاها ابو هريرة كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم لما رآه سكت بين التكبير والقراءة بابي انت وامي ما تقول او غير ابي هريرة مثلا من المصلين فلعله
ولم ينقل ذلك عن احد من الصحابة رضي الله عنهم فدل على انه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الائمة
وفيه الاسوة الحسنة والمختار ان كل ما اتى به الرسول عليه السلام فالاتيان بمثله متعين الا اذا دل
على خلافه دليل منفصل لقوله تعالى واتبعوه لعلكم تفلحون بل تهتدون والاتباع عبارة عن الاتيان بمثل ما
اتى به المتبوع وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى
كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من
تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا ومعناه كالحديث المتقدم الذكر اوله من سن في الاسلام سنة حسنة
فله اجرها قال بعض الشراح له الهدى هديان هدى دلالة وارشاد وبيان وهو الذي يضاف الى الرسول
والقرآن والعباد والهداية الثانية بمعنى التابين والعصمة والتوفيق وهي التي تفرد بها الباري جل جلاله
له وكذلك روي عن العتبي في العقل انه عقلان فالعقل تفرد الله عز وجل بصنعه وعقل يستعيده المرء بادبه
وتجربته ولا سبيل الى العقل المستفاد الا بصحة العقل المركب في الجسد فاذا اجتمعت قوى كل واحد منهما صاحبه
تقوية النار في الظلمة نور البصر والكلام هنا يطول فنرجع فنقول في الكتاب العزيز من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها الاية وفيها تاويلات منها ان الشفاعة الحسنة هي الدعاء للمؤمن وفي الحديث
ايمنكم شفعاؤكم ولا شك في ان من اخذ منهم بالدعاء جهرا دبر كل صلاة ولم يخص به نفسه دون المصلين خلفه
واخلص فيه نيته واستغفر عند تامين عباد الله المؤمنين تامين الملائكة المكرمين فاغتنم ما لتلك الساعة المباركة
من الفضل الثابت بصريح النقل فقد حمل على خير وارشاد الى طريق بر وبين بقوله وفعله حق وان من ذهب
الى المخالفة اليوم في ذلك كله وعده من محدثات الامور العائدة على فاعلها بالملامة فقد تعرض الى وقوع في
المحظور اللهم الا ما كان محدثا داعيا الى زيادة في الدين لم يثبت لها واصل في الشرع فلا منازع في المنع قال ابن الاثير
ومثاله ما احدثه الروافض من عد ثالثا وقد كان هذا المنكر لدعاء الائمة في المساجد يهتم بما افصح به الان

من اذا كبر في الصلاة سكت هنيئة

وذلك

من ذلك ودعا اليه الى ايام حياة شيخه الاستاذ الامام ابي سعيد بن قاسم بن لب وبلغه مقالة اذ ذاك فراجعه رحمه
الله وارضاه بجزء حسن فيه في النازلة سماه لسان الاذكار والدعوات مما شرع في ادبار الصلوات
ومنه ما نصه وربما يتعلق في المسئلة بنهي مالك رضي الله عنه عن التزام ابواب والنوافل مخافة ان يعتقد
فيها اهل الجهل لحاقها بالفرائض كما كره صيام ستة ايام من شوال مع ما ورد فيها من الترغيب فيقال اولا ان هذا
شيء مشارع فيه بين الامة والاصل القيام بالمشروع والمسارعة الى فعله والا يعارض ذلك بما عسى ان يعتقده
جاهل بسبب جهله الا ترى ان في الوضوء والصلاة والصيام وسائر الوظائف المشروعة فرائض وسننا وفضائل
يقام بها ويثاب عليها ولم يقل احد بترك نوافلها مخافة اعتقاد الوجوب فيها ثم قال ان الدعاء
والذكر بعد الصلاة لا يوجد من يعتقد وجوبه الا من الخاصة ولا من العامة وكثير من الناس ينصرف ويترك الامام يدعو
ولا يبالي واكثر الناس لا يدعو اذا صلى وحده فلا جرم ذلك الا لتفات المالكي في هذا الموضع وامثاله جهالة
ظاهرة لانه قد اشكل على العلماء في محله المذكور وعند النص فيه فكيف بان يعدى الى غيره من وقف على ما تقدم من
مقتضى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنة بامره وفعله وفعل الائمة بعده فهم الاسوة والقدوة ظهر
له ان انكار العمل في ذلك على المسلمين في هذه الازمنة احق بالانكار والزجر والردع حيث وفق الله سبحانه هذه الامة المحمدية
في هذه الاعصار التي عاد فيها الاسلام متصفا بالقربة الى العمل بما هو مقتضى القرآن والسنة ثم يقوم عليهم بالتبديع
والتضليل والتخطئة والصد عن سبيل المثوبة ومصلحة الدنيا والاخرة فهذه جهالة عظيمة والخلاف كثير وظواهر الشريعة
على الجادة يجب الرجوع اليها عند اشتباه الطرق واختلاف الفرق وما حمل من انكر على من انكره الا انه ابصر ما امامه ولم يلتفت
الى ما خلف وراءه ووقف على بعض مسائل في المذهب لم يهتد لواضح سبيلها ولا شعر بوجهها ودليلها ولا علم اختلاف
العلماء في اصلها ولم يعطها من الفهم والتامل حقها ورأى ان العمل بعين ما انتهى اليه فهمه فيها والا علم الا ما علم ولا
فهم الا دون ما فهم فاستحقر العامة وجهل الخاصة ورأى انه على الجادة وحده وصار في قيامه على الناس بالتكبير كما قال
في المثل انقاض من غير توتير وحاد ليس له بعير انتهى المنقول من الجزء المذكور وان قال قائل هذا الكلام
فيه تحامل على الرجل المنكر لما ذكرتم فانه لم يقصد على ظاهر حاله بانكاره غير التوثيق للنفس الضعيفة والاحتياط
بالوقوف عند الحدود البينة وعدم الاقدام على ما ليس يراه منه السنة فالجواب له اخذ المنكر بما فيه مخالفة جماهير
المسلمين وتخطئة جميع من عاصره او مضى قبله والمتقدمين جرأة كبيرة وجسارة عظيمة وفي الرد على من تكلم هذه الطريقة
وجوه كثيرة منها ما وقع في كتاب البخاري باب الحجة على من قال ان احكام النبي صلى الله عليه وسلم كانت ظاهرة وما كان
يغيب بعضهم على مشاهدة النبي عليه السلام قال احد الشارحين له وهو ابن اللجام في مجموعه هذا الباب يرد به على
الرافضة وقوم من الخوارج زعموا بان احكام النبي صلى الله عليه وسلم وسننه منقولة عنه نقل تواتر وانه لا سبيل الى
العمل بما لم ينقل نقل تواتر وقولهم في غاية الجهل بالسنن وطرقها فقد صحت الاثار ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
بعضهم السنن والاحكام عن بعض ورجع بعضهم الى ما رواه غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم وانعقد الاجماع من الجمهور على
العمل بخبر الاحاد فبطل قول من خرج عن ذلك وقد ظهر من مذهبه ما نصه الاعتصام بالجماعة كالاعتصام بكتاب
الله وسنة رسوله لقيام الدليل على توثيق الله تعالى ورسوله عليه السلام صحة الاجماع وتحذيرهما من مفارقته لقوله
تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير المؤمنين نوله ما تولى وقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهاتان الايتان قاطعتان على ان الامة لا تجتمع على ضلال وقد اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فهما له من كتاب ربه عز وجل فقال لا تجتمع على ضلال ولا يجوز ان يكون اراد جميعها من عصره الى قيام
الساعة فان ذلك لا يعيد شيئا اذ الحكم لا يعرف الا بعد انقراض جميعها فعلم انه اراد اهل الحل والعقد من كل عصر نقول
ومن الامور التي هي من الشهرة بمثابة المعلوم بالضرورة استمرار عمل الائمة في جميع الاقطار على ان الدعاء ادبار الصلاة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)